

# نحو المنهج في ثورة ثقافية عربية



بقلم طابع صفيحي

لثورة التاريخية ، من أجل جعلها أكثر تاريخية ، أي أكثر جذرية وشمولية واستجابة في إيجاد الصيغ لتحويل العلاقات البشرية والمادية في مختلف قطاعات القيادة والفكر والعمل ، وتحريك العمل الفردي والجماعي من أشباح قانون الاستغلال ، مهما كان عنوان هذا الاستغلال تحت بوارق الشعارات السياسية والاقتصادية والايديولوجية .

فالثورة الثقافية كما وردتنا تجربتها الأولى من الصين ، ليست سوى حركة تطهير داخل ثورة أشمل ، وهذا التطهير يتوجه بالدرجة الأولى إلى أساس أمراض الثورات كلها، وهو مرض البيروقراطية الذي تقع فيه الثورة عندما تتحول من طور الكفاح السلمي ، إلى طور الحكم والتزام السلطة .

ولقد تكون الثورة الثقافية مجرد تطوير صيني لمبدأ النقد الذاتي المعروف ، وجعله ممارسة ثورية شاملة ، لا تكفي بالتبرير ، ولا تقف عند حدود النقد النظري ، ولا تتناول سلوكاً معيناً وأشخاصاً محددين ، ولكنها تتوجه إلى بنية الثورة ككل ، لتعمل فيها تغييراً في الفكر والممارسة ، والعلاقات السلطوية والانتاجية وسواها .

ولكن التشكيك بقيمة هذه التجربة الغربية ، ينهون السلطة الصينية العليا بتدبيرها مع القاعدة الطلابية لنسف الكادرات الحزبية والحكومية المعارضة لاتجاه تلك السلطة العليا ، وبالتالي لا يرون في هذه الظاهرة ، التي هزت كيان أكبر نائسي تجربتين اشتراكيتين في التاريخ المعاصر ، إلا مجرد صيغة صينية للصراع على السلطة ضمن دولة تحكم بنظام الحزب الواحد .

ومهما يكن من أمر ، فإن مثل هذه الظاهرة التي استطاعت أن تحرك قوى الثورة الصينية في مختلف قطاعاتها ، وتوجهها نحو إعادة صياغة الهياكل الأساسية للمجتمع ، لا يمكن أن تقتصر في تبريرها على مبدأ صراع السلطة في رأس الهرم السياسي ، ولا بد أن تكون لها أسباب أكثر موضوعية وواعق جذرية ، ناجمة عن جدلية الثوريا الصينية وظروفها التاريخية الداخلية والخارجية .

ومن ناحية أخرى فإنه من السابق لأوانه التكهن منذ الآن بنتائج الثورة الثقافية في اشتراكية ماوتسي تونغ وآثارها الفعالة على مجمل التجربة الصينية ، وما لم تتضح بوادر هذه النتائج ، والآثار على الأقل ، فمن الصعب الجزم في تحديد الأسباب الحقيقية الدافعة لممارسة الثورة الثقافية ، وتعيين نسبة الناحية الذاتية والناحية الموضوعية من هذه الأسباب .

\*\*\*

لو حاولنا أن نسأل أنفسنا : ماذا نقصد بثورة ثقافية عربية ، لنهبط بنا الفكر بالتداعي مباشرة إلى ما سمع وقيل وكتب عن ثورة « ماوتسي تونغ » الثقافية مع جيل الطلاب ضد بيروقراطية الدولة والحزب والبرجزة المتجددة . ولكننا إذا ما تنبها إلى أن المراد هو ثورة ثقافية عربية ، لبدا لنا مباشرة فرق في المعنى ، معنى هذه الثورة ، وفرق في مضمونها ، ووسائلها ، ومبرراتها الفكرية والعملية، ولربما أن ثورة « ماو » إنما هي ثورة تقع في سياق ثورة أكبر وأشمل ، وهي التي تتحقق كذلك في إطار دولة ثورية ومجتمع متحول ، في حين أن الثورة الثقافية العربية المنشودة تفتقر إلى ذلك الإطار الثوري الأشمل من دولة ومجتمع متحولين ، وإنما بالنال أقرب إلى الشعار منها إلى الوسيلة الواقعية للتحقق والتغيير .

ذلك أن المجتمع العربي ، المقسم إلى نماذج متباينة متفاوتة من حالات الوجود العشائري ، وشبه المدني ، والمدني ، وممن أشكال النظام السياسي ، بدأ من العصية العشائرية إلى العصبية الطائفية والاقليمية وصور تحققها تحت تصانيف الإمارة والملكية والجمهورية الليبرالية والجمهورية الاشتراكية ، هذا المجتمع ليس هو في طور تحقق ثورة إيجابية شاملة ، على النمط الغربي ، أو السوفياتي ، أو الصيني ، وليس هو مؤطرا ضمن دولة موحدة توصف تحت صفة الرأسمالية أو الاشتراكية .

وبالتالي ، فالثورة الثقافية العربية المنشودة لا يقصد منها تصحيح لثورة أشمل وتعميق لعلاقاتها الموضوعية ، وإخصاب لإنتاجها الحضاري التقدمي ، إلا إذا فهمنا أن هذه الثورة الثقافية ، يراد منها تجديد دم الأنظمة الثورية العربية ، وتعميق أصولها . وهذا يعني أن نتوجه إلى حصر ساحة هذه الثورة الثقافية ضمن الأقاليم ذات الأشكال السياسية التي تصنف ذاتها تحت الشعارات التقدمية ، من اشتراكية ووحدية وشعبية وسواها ، ومن هنا كان لا بد للباحث من اعتبار الشروط الثورية التي تحدد الواقع العربي المعاصر ، هو موضوع الاهتمام والتحليل الرئيسي .

كذلك يقوم أمامنا هذا الفارق الكبير في النوع ما بين تجاربنا الثورية ودولة الثورة الصينية ، صاحبة التجربة الجديدة في الثورة الثقافية . إنه الفرق ما بين الثورة السياسية والثورة الكيانية الشاملة .

فالثورة الفوقية تفسر في رموز السلطة وادوات تحقيقها ، والثورة الكيانية تفسر في البنية التاريخية للمجتمع . وفي مجال الثورة الثقافية الصينية يمكن التحدث عن ثوب

الايديولوجي ، فهي تمارس اللغة ، ولا تمارس الواقع . وهي عندما تنجح في استبدال رمز شخصي ، فانما تفعل ذلك وكأنها تغير في اداة التعبير ، ولا تغير من مضمون التعبير . فان عزل اللغة عن حقائق الموقف ، يشابه عزل الاشخاص عن مؤسسات الواقع .

وهذا ينقلنا الى معالجة المستوى الثاني للثورة الثقافية ، والذي حددها بمستوى البنية الحضارية للمجتمع العربي وعلاقته الانسانية بتحديات العالم الحضاري من حوله .

\*\*\*

قبل كل شيء نقول ان دليلنا الى معالجة هذا الموضوع هو تحليل دور اللغة في بنية الحضارة العربية . ذلك ان الحضارات السابقة على ظهور العالم المادي ، يمكن ان تصنف جميعها في مرتبة الحضارات ذات الطبيعة اللغوية في صلتها بالعالم . فمنذ ان انطلقت الدراسات المعاصرة في الفلسفة اللغوية وربطها بمواقف المجتمع الانساني من قضاياها الايديولوجية وشؤون ممارساته الاخلاقية والمادية ، على يد فلاسفة وعلماء اجتماع حديثي الرؤية الفكرية من امثال ( ليفي ستروس ) و ( ميشيل فوكو ) فيما يدعى بالفلسفة البنيوية ( نسبة للبنية Structure ، فلقد اصح النظر الى اللغة يتعدى الدلالات المعجمية ، الى الدلالات البنيوية عن علاقة فكر المجتمع باشكال الممارسة ، من خلال الانتاج الحضاري ، والطقوس الدينية والاعادات الاخلاقية ، ومختلف ادوات التأثير والتبادل بين الصيغة الاجتماعية لوجود الشعب او القبيلة ، وبين الطبيعة الخام من حولها . ولعل من اهم نتائج هذه الابحاث نفي الوجود المستقل للمعنى او للفظ ، واعتبار المبارة اللغوية صيغة وجود ، لا تكفي ترجمتها المعجمية لفهمها ، بل لا بد من النظر اليها كوحدة ممارسة انسانية تبرز فيها علاقة الانسان بالعالم وتكون ثمة موقفا له دلالة . وهذه الدلالة لا يمكن ان تفهم الا بردها الى سياق الصيغ الاشمول للممارسات الحضارية التي تميز وجود شعب في حقبة تاريخية معينة .

ومن الواضح ان ( اشبنغر ) في كتابه ( افول الغرب ) كان من اوائل الذين وصفوا حضارة شرقي المتوسط بالصفة السحرية ، لغلبة اللفظ على ممارسته ، بصورة يصبح اللفظ معها ذا قدرة ميتافيزيقية على خلق ظروف نفسية لدى الفرد ، وممارسات موضوعية لدى الجماعة . ويقدر ما تكون اللغة اقرب الى ايقاع الظرف النفسي المناسب للحروف والمقاطع والالفاظ والجمل ، بقدر ما يقوى الابعاء السحري فيها . وهذا ما ابرزه نيتشه في كتابه عن ( اصل المأساة ) ، اذ اعتبر ان النظم السحري للحوار المسرحي يستخدم وظيفة الابعاء الديني ، كما في جوقات المسرح اليوناني ، التي تناظر جوقات الرهبان في المآبذ ، والجوقات المسيحية فيما بعد .

ولكن الدراسات البنيوية لاهية العوامل التأثيرية في اللغة ، في ايماننا هذه ، قد استطاعت ان تكشف عمق الوحدة بين سياق اللغة وسياق الممارسة الفردية والاجتماعية ، وجعل الاولى اشمل دلالة من دلالة المعنى ، شرط ان تفهم اللغة هنا لا من حيث انها مجموعة الفاظ وقواعد للتعبير والكتابة ، بل وجود للفكر الاجتماعي وهو في حال الاحتكاك اليومي مع ادوات الوجود الحضاري عبر المجال المادي ومجال العلاقات الانسانية . ولقد كشفت الدراسات الانثروبولوجية الحديثة الموجهة بمناهج المدرسة البنيوية ، كشفت ذلك الفاصل الذي يحصر القبيلة الابتدائية ضمن صيغها اللغوية السحرية ، ويحدد علاقتها بالعالم المادي من خلال اوهام الصيغ اللغوية ، المشتقة كلها من الموقف السحري من ظواهر الطبيعة . وبالمقابل فحين تتضاءل استطاعة المجتمع على استخدام ادوات مادية قادرة على تغيير المادة الخارجية ، فسان رصيده من البنيات اللغوية ذات المنحى السحري يتعاطف حتى يصبح تعامل الانسان مع الكلمات اشبه بتعامله مع الاشياء . ولقد ابرز ميشيل فوكو في كتابه الاخير ( اثريات الثقافة ) كيف ان مثل هذا الوضع لا يخص الشعوب الابتدائية وحدها ، ولكنه مرتبط بثقافة غنية كالثقافة

فاذا انتقلنا الان الى مجال ما يمكن ان يقال عن ثورة ثقافية ضمن سياق الثورة العربية ككل ، كان علينا ان ننتبه اولاً الى ان ثمة مستويات عديدة للبحث ، تبدأ بالمستوى الاقرب الى المعاناة اليومية ، وهو تقييم مجمل الثورات العربية السابقة ، كتجارب حزبية وتجارب حكم ، ثم نصل الى مستوى اعلى ، ويتناول البنية الحضارية للمجتمع العربي وعلاقته الانسانية بتحديات العالم الحضاري من حوله ، وننتقل بعد ذلك الى مشكلة التكون العقلي للانسان العربي ، وهو الهدف الاصلي للثورة الثقافية المنشودة .

اما النوع الاول من المشكلات المرتبطة بتقييم الثورات العربية كتجارب حزبية وتجارب حكم ، فلقد غصت الساحة الاعلامية بنماذج كثيرة عن هذا التقييم خاصة بعد مرحلة الهزيمة . ومع ذلك فلقد بقيت هذه النماذج جزئية وعابرة ، ومنطلقة غالباً من مواقف ذاتية عاطفية ، ولم تصدر المحاولة التقييمية الجادة حتى الان ، والمنزهة عن اسلوب الطعن والمزايدة ، واسلوب التجريح والنقد الفسوي لفايات سياسية خاصة .

وبقي اهتمام النقاد منصبا على موقف واحد يطالب بالاستبدال ، كان الثورات اشبه بالانواب تبدلها مع اختلاف الطقس والحالة النفسية التي نمر بها .

ان هذا الموقف يمت في الواقع الى الجذر نفسه الذي بنيت عليه عقلية الثورات التي يراد استبدالها بثورات اخرى . وهو الموقف الطفولي الذي يستهلك لعبة ، ثم يطالب بلعبة اخرى ، كأنما لا وجود لقوانين اجتماعية او تاريخية تتحكم في ظروف التغيير ، وكأنما العالم يمكن ان تغيره ارادة من فيكون ، على الطريقة الميتافيزيقية والسحرية الموهودة .

ان نزعة الاستبدال هذه كانت تحرك دائما مختلف قوائمنا السياسية ، وتتوجه دائما الى استبدال رموز الاوضاع ، دون ان تصل الى ادراك ماهية الاوضاع ومواجهة عقباتها الحقيقية .

وكانت قوائمنا السياسية ، المسوقة بنزعة الاستبدال هذه ، لا ترى من رموز الاوضاع الا اقربها الى الصورة اليومية ، وابعدها بالتالي عن بنية الواقع غير المرئي المتغلغل وراء الظواهر المباشرة ، والذي تتحكم فيه قوانين موضوعية لا يعترف بها احد ، وان كان ترديد شعار الموضوعية اصبح اشبه بالفتاح السحري لكل منشور سياسي . ولقد انصبت نزعة الاستبدال هذه دائما على تغيير القوم السياسية ، والاطارات القيادية المباشرة ، واكتشفت من رموز الاوضاع باسماء البشر ، افراداً وجماعات .

فدخل عصر الثورة العربية ، من حيث لا يدري اصحابه ، فسي عصر الركود السابقة عليه . وما هو عصر الركود ، ان لم يكن الاستبدال في رموز الاوضاع مع استمرار الاوضاع ؟ ان استبدال الخلفاء العباسيين في اواخر عهد الدولة العباسية ، بالقتل والاغتيال والتآمر ، ما كان ليفير شيئاً من حتمية قوانين الانهيار التي كانت تستبد بتلك المرحلة ، وتقود الدولة العربية آنذاك الى نهايتها .

وبالرغم من ان نزعة الاستبدال اليوم تقنع نفسها بالفاظ ايديولوجية مختلفة ، فانها تستطيع ان تكتشف فعلاً حقيقة ذاتها ، وليس حقيقة ما تريد ان تستبدله . فهي عاجزة عن تحليل ما هو قائم ، ولذلك تدعو الى ما يجب ان يكون ، اي انها تنطلق من حكم اخلاقي على واقع لتدعو الى قيمة اخلاقية غير واقعية ، لانها لم توجد بعد . ولذلك فهي تأخذ دائما طبيعة التبشير ، لتخفي مضمون الركود في فكرها ووسائلها . ومن هنا كانت فعالية اللغة هي سيدة الساحة دائما ، بمعنى ان ظاهرة الاستبدال بحاجة دائما الى ممارسة اساليب الكلام ، لتبرر عملية طرح رموز قديمة وتجسيد رموز جديدة ، واستبدال الالفاظ بالالفاظ بوازي عملية استبدال رموز اوضاع برموز اخرى ، مع استمرار الاوضاع .

ان ظاهرة الاستبدال حين تستخدم النقد باصطلاحه

الفريقية ذاتها ، التي طفت فيها نزعة التعامل مع الكلمات من خلال تراث الفلسفة التأملية ، على التعامل مع الأشياء ، وهي في براءتها الخاصة ، وهو يقصد طبعاً مراحل تلك الثقافة السابقة على تعاطف المؤسسة العلمية ، ومجالها الرحب من تنوع أدوات الصلابة والتغيير في المادة ، وفي بنى العلاقات الإنسانية ذاتها .

حتى ان مفكراً كبيراً من رواد الفلسفة اللغوية في انكلترا وهو ( نوام شومسكي ) رأى من ناحية أخرى ان في التوحيد ما بين وسائل العمل والعمليات اللغوية بصورة آلية كما لدى اصحاب التطبيق الذرائعي للمدرسة الاميركية ، واعتبار ان العمليات الفكرية السابقة على التعبير اللفظي الصوتي ، ما هي الاعادات مكتسبة لتوجيه الخبرات العملية ، رأى في هذا الموقف تطرفاً يقابل التطرف الذي تعطيه الفلسفات التأملية لاستقلالية المعنى . واعتبر ان التطبيق الذرائعي على اللغة يفقد فعاليتها الخلاق ، والدفع الى تكوين خبرات جديدة ذات مساق موحد مع الممارسة الفردية والاجتماعية ، ويجردها عن وظيفة الكشف العلمي والاحياء الفني ، والتوجيه الايديولوجي . ( 1 )

فالثورة التي احدثتها هذه الفلسفات اللغوية الجديدة تركزت الى اعتبار ان الكلام الانساني ليس واسطة بين الاشياء والفكر ، ولكنه هو ذاته الصيغة الاشمل التي تستوعب مختلف صيغ الممارسة الحضارية وان دراسة هذه الصيغ وتحليلها في سياقها اللفظي ، وفي جذورها الفكرية ، وفي ادواتها المختلفة من الرموز والاصطلاحات ، والسياقات الاليقائية ، تؤدي الى معرفة اعظم للثقافة او للحضارة .

واذا حاولنا الآن على ضوء مثل هذه المنطلقات مواجهة مشكلة الاسر اللفظي او اللغوي لفعالية الحضارة العربية ، وجدنا ان اساس الثورة الثقافية يجب ان يبدأ من هذه المواجهة . ذلك ان الفعالية الحضارية للامة العربية قد اختصرتها ثقافة الالفاظ ، حتى وقصمت الثورات السياسية المعاصرة في وهم الاستبدال لرموز الاوضاع ، وهي تستبدل في الوقت ذاته منظومة من الالفاظ بمنظومة اخرى .

ان يقظة العالم الثالث ، وليس الامة العربية وحدها ، مهددة بالوقوع فيما يدعوه ( ماكلوهان ) بأوهام المرحلة الابجدية . وهي المرحلة المتوسطة ما بين سيطرة الكتلة - الوسيط ( Nass-Media ) القائمة على استخدام وسائل الحواس بشكل متوازن ومرتبطة مباشرة بالمحسومات الطبيعية ، وما بين مرحلة الوسائط العينية القائمة على حس النظر كالتلفزيون والاعلان المكتوب ، اي ان مرحلة المطبوع كوسيط اساسي لتوحيد فكر الكتلة ، سواء كان هذا المطبوع مقروناً او مسموعاً ، هي المرحلة التي تمر بها شعوب العالم الثالث ، وفيها تصبح وسيلة المشاركة الجماعية هي اللفظة وليس مضمونها ( 2 ) .

يقول ماكلوهان من خلال موقفه الفكري الطريف والعميق ان اهم العوامل التي اثرت في اعطاء الصفة الجماعية للمجتمعات كانت طبيعة وسائط المشاركة ، اكثر مما كانت طبيعة مضامين هذه الوسائط .

ان قيادة المجتمع المتخلف الركودي عن طريق اللفظ مكتوباً او مسموعاً ، قد تركزت اصولها اكثر باستخدام وسائل الاعلام المجلوبة من مجتمعات تجاوزت مرحلة الوسائط اللفظية الى مرحلة الانقياد بوسائط الرؤية بالصورة والشكل والفعل المصور ، وهذا ما يفسر لنا انتشار اجهزة المذياع والترانزيستور بصورة كمية هائلة عبر البوادي والسهول والمدن والجزال . ويمكننا ان ندرك خطورة هذه الواسطة عندما تكون اللغة المتلفظ بها هي تلك الارومة ذات الطابع الصوتي والاليقائي المسيطر كاللغة العربية . واذا تأخذ الالفاظ اللفظية سيئات الكلمات الجذرية الكبيرة ، فانها تنشيء سياقاً ايديولوجياً يشبه الدين المتجدد ، وكما يقول ( لوسيان سباغ ) حول كتابه عن ( الماركسيّة

والبنوية ) ان شعوب العالم الثالث عندما تعتنق الماركسية ، فكأنها تعتنق اديانها القديمة باسماء جديدة ( 2 ) .

وليس من شك في ان جعل وسائط المشاركة من ابجدية او سمعية بصرية ، قادرة على تكييف الوجود الاجتماعي فكراً وممارسة وعلاقة مادية وقيمية ، هو اشبه باستبدال للمبدأ الماركسي الاصلي ، القائل بان تطور ادوات الانتاج يحدد العلاقات الاجتماعية والتطبيقية . فكان وسائط المشاركة الموجهة للكتل الاجتماعية ، هي اليوم اهم من طبيعة ادوات الانتاج والعلاقات الاجتماعية ، من حيث قدرتها على صياغة نماذج الكتل البشرية عقلياً وعملياً بصورة متجانسة ، لاختلاف بين وحداتها ، لا بالكيف ولا بالممارسة . ان توحيد صورة العالم هو هدف الامبريالية الاعلامية اليوم . واذا كانت شعوب التكنولوجيا المتقدمة قد خضعت لوحدة النمطية في الفكر والممارسة وصور العلاقات والعادات اليومية ، وساهمت الوسائط التكنولوجية الناقلة ، بصرياً وسمعيّاً ، في فرض هذه النمطية ، فان شعوب العالم الثالث التي لم تدخل بعد عصر التكنولوجيا ، ما زالت تتابع خضوعها لنمطية الركود ، التي تعززها نمطية وسائل الاعتقاد بقوى الالفاظ المسموعة المكتوبة ، المنقولة خاصة من مراكز التراث ، ومراكز التحريض الحديث عن التفسير شكلياً ، من خلال فعالية الاستبدال .

\*\*\*

ان اللفظة - القوة حلت محل الفكرة - القوة . وفي حين ان الفكرة - القوة قادرة على تغيير الزاوية الاساسية لعلاقة المجتمع بذاته وبالطبيعة من حوله ، فان اللفظة - القوة تكرر عزلة المجتمع عن الاشياء . وبالتالي تأخذ هذه الالفاظ سياق الايقاع الترتيلي الديني فتساهم في سلبية العقل امام تحديات الظروف الموضوعية . وهكذا في حين ان ايديولوجيات الانظمة الاجتماعية ذات الارتباط العضوي بالتقدم التكنولوجي ، تريد ان تفرق كتل شعوبها في نمطية رد الفعل الواحد المتجانس على المحرضات المنظمة من قبل وسائط المشاركة السمعية البصرية ، فان ايديولوجيات المجتمعات الركودية تسعى الى طمس فعالية المحرضات الخارجية ، وتكرار لفظياتها للابقاء على نمطية الركود السابقة ، للكتل السائدة في بحر ان الالفاظ ذات القوى الميتافيزيقية .

ولكن نمطية السلوك التكنولوجي لدى المجتمع المتخلف ، تتباين عن مثلثتها لدى المجتمع التكنولوجي ، في ان الاولى تركزت الى ادوات الالفاظ ، في حين ان الثانية تركزت الى ادوات التكنولوجيا .

وبذلك فليس الحل في استبدال اللفظ بادائية التكنولوجيا بل في تغيير طبيعة العلاقة بالاداة ذاتها مهما كان نوعها . وهذا هو القاسم المشترك بين نمطية التخلف ونمطية التبعية لعبودية التكنولوجيا وهو ما يعطي صورة متجانسة لوضعية الانسانية كلها في ظروف الانسلاخ الحاضر .

فما الذي يجعلنا نخرج اذن من هذه الحلقة المفرغة ؟ ان نقد الالفاظ بالفاظ اخرى لا يتناول تعديلاً في طبيعة الاشياء التي تسميها هذه الالفاظ . ولو دققنا في اللفظ المستعمل ، لوجدنا انه يحيل الى لفظ آخر ، واللفظ الاخر يحيل الى لفظ ثالث . وفي حالة النمطية التي تولدها ادائية هذه الالفاظ ، فانه من الصعب مثلاً ان نستخدم مصطلحات النقد الثوري ضد ثبوتيات الميتافيزيقا الدينية، او ميتافيزيقا الاقطاع السياسي والاقطاع الاجتماعي . ذلك ان غياب العلاقة مع الاشياء ، مع مؤسسات المجتمع الفعلية وجذورها ، يجعل جميع الالفاظ المتداولة في التعبير محملة بذات النمطية من الميتافيزيقا ، حتى لو كانت الالفاظ متناقضة المعاني المستقلة ، كأن تكون معاني للرجعية واخرى للتقدمية . ذلك ان اقامة منظومة من الافكار ، انما هي في الحقيقة اقامة منظومة من الالفاظ . والالفاظ لا توجد . في حين ان الموجود هو المؤسسة ، ولكي يتحول اللفظ

1 - انظر خاصة كتابه : Nature formelle du langage

2 - انظر كتابي ماكلوهان :

Message et message و Pour comprendre les mdia

الى مؤسسة ينبغي ان يكون قادرا على بناء عمل . ولكن الالفاظ لا تبني اعمالا ، وانما تبني الفاظا . ومن هنا وجب اذن العودة الى سياق الممارسة . فالموجود وحده هو الذي يمارس ، ولو كان هذا الوجود من النوع النمطي . بل ان كل موجود هو نمطي . وبالتالي فالنمطية هي مؤسسة المؤسسات كلها . وحتى تتغير ، لا بد من تفجيرها من داخلها ، اي بكسر جذور النمطية ، فالايديولوجية الرجعية من اديان وأخلافيات ومبررات فوفية مختلفة للانقسامات الطبقيية والكنوية والسياسية وسواها ، ليست هي الموجودة فعلا ، ولكن الوجود هو ممارستها اليومية من خلال مؤسسات الواقع المادي ، وانما التعامل ما بين الناس ، وبين الناس والاشياء .

وفي مثل ظروف سيادة النمطية المنعكسة عن مؤسسات الركود في المجتمع العربي ، فان اثبات وجود الله بالالفاظ مثلا يعادل انكار وجوده . وكلا العمليتين تعتبران من البنى الفوفية ، بالرغم من ان عنوان الاولى رجعي ، والاخر تقدمي . وعلى هذا المثال ، يمكن ان نكتشف بكل سهولة ان تناقض نظام سياسي رجعي مع نظام سياسي تقدمي عن طريق وسائل الاعلام لا يغير من وحدة جذور النظامين في ارضية المجتمع الركودي . بل ان المستمر والموجود دائما هو نمطية الركود . وما يناقض الركود هو تفجير مؤسساته الجامدة بمؤسسات العمل المبني على تغيير الاشياء . ومن صلب تغيير الاشياء قدرة اللفظ ذاته على ان يصبح شيئا .

ان الفلسفات الثورية تصبح نوعا من الاعلام عندما ترمى للتداول وتفقد قدرتها على التماس مع الاشياء وتفجير المؤسسات . وهذا ما يفسر ظاهرة استبدال نظرية ثورية بنظرية ثورية اخرى ، وتعايش النظريات الثورية مع نمطيات الممارسة الرجعية في آن واحد ، دون حدوث صراع متفجر بينهما ، اذ ان هذه النظريات التي تأتي الى المجتمع الركودي ، بشكل منظومة من المعاني المستقلة ، لا تلبث حتى تتحول الى مجموعة الفاظ ، وبالتالي يسهل استعمالها كمنطق جديد ، اي كشكل لفظي لمحتوى الآلية الفكرية التقليدية السائدة ، في عمس المجتمع وعمله .

وكذلك فان اجتهاد الفئات الثورية باعلان عناوينها الايديولوجية لتمييز منظماتها عن بعضها بعضا ، لا يمكن ان يحدث فعلا نيميزا واقيا فيما بينها . ولكن الاحاح على وجود الايديولوجية التمايزة ، انما هو استخدام الالفاظ المستجدة لتبرير نمطية اساسية في بنية المجتمع الركودي ، وهي استخدام منظومات الالفاظ بمعزل عن منظومات الاشياء والمؤسسات . ولذلك تتحول هذه المنظومات اللفظية ، بالرغم من انتمائها لمختلف ارومات الفكر الثوري ، تتحول الى صيفسة الكتلة الواسعة .

وهكذا فان الامبريالية العالمية نفسها اصبحت تستخدم حتى شعارات الفكر الثوري لتعزيز النمطية الركودية عن طريق التعميم الاعلامي ، الى درجة سطوح المنظومة الفكرية ، وتجريدها من محتواها ، وتكريس لفظيتها ، حتى تصبح قوالب نملا بمضمون الآلية النمطية ، وتتساوى اخيرا مع منظمات الواقع النمطي ، ولا تصطدم مع مبرراته وقيمه ومقاييسه المسيطرة على الممارسة الآلية لدى الجماعات الفسل .

فلقد صار امرا مألوقا على الصعيد العالمي تعايش الايديولوجيات التقدمية والرجعية ، كما صار مألوقا كذلك على صعيد العالم الثالث تجاور أنظمة الاقطاع السياسي وشيوع الاعلام الثوري ، وغدا من السهل دائما نجويف الالفاظ من أفكارها الاساسية ، عن طريق عزلها عن الحوار مع مؤسسات الواقع الاجتماعي ، وتحويلها بالتالي الى اداة جديدة لتعزيز نمطية قديمة ، تسمح باستمرار طرح الحلول القديمة على المشكلات المستجدة ، واغلاق خط التطور الصاعد ، في دائرة مفرغة من الدوران حول الذات القديمة .

ان اخطر ما يواجه المجتمعات التي تنهيا فيها الظروف الموضوعية

لتحقيق ثورة تقدمية حقيقية ، هو طمس ظروفها الموضوعية تلك بحشرها تحت التعميمات الواردة من المنظومات الفكرية ، بهدف جعل هذه الظروف متطابقة مع التعميمات ، في حين ان نكسات هذه المجتمعات قد برهنت على ان نتائج هذه العملية كانت تؤدي دائما الى تجريد ظروف الثورة عن قواها التفسيرية الفعلية ، واصطناع بديل عنها بقوى الالفاظ المستقلة ، لمجرد ان هذه الالفاظ تنتمي الى معجم الايديولوجيات الثورية . وكان من عماء بعض الطلائع الثورية حقا في العالم الثالث ، استخدام الالفاظ واهمال الاشياء . فلم تكن الايديولوجيات دليل رؤية وتحليل للاشياء ، ولكنها كانت غطاء تعميما ينشر فوق خصائصها ، ويطمس قواها الفعلية ، فلا يكشف فيها عن امكانيات التفجر ، ولا يكشف فيها عن عقابها الموضوعية ، ولا يقاس مدى قدرتها على التحول او النكوس ، وبالتالي يعجز الثوريون حقا عن التعامل مع الاشياء ، وبناء استراتيجية لهذا التعامل ، ضمن عقلانية علمية قادرة على ابطال مفول آليات النمطية المنبثة في مجال تحركهم الاجتماعية ، والمبطنة لعقولهم واراداتهم ، بحكم انتمائهم الى نمطية الركود في مجتمعهم ، ونمطية الاعلام العصري في المجتمع العالمي ، المقود بالوسائل الكتلوية التكنولوجية .

هكذا نستطيع مثلا تفسير ظاهرة انتشار اشكال السيارات الفوضوية في العالم عن طريق وسائط الاعلام والتعميم الجماهيري التابعة لمراكز التجارة الرأسمالية العاليه نفسها . فالاسطوانات والكتب والمجلات والملابس وتنظيم الرحلات وبيع الاعلانات والصور، الملونة بالشعارات اليسارية نفسها ، انما هي بضائع استهلاكية جديدة ، خلقت دما جديدا في عرض الصناعة الرأسمالية المعاصرة .

وفي مجتمعات العالم الثالث من السهل هضم اليساريات واستهلاكها من خلال نزع تعميم المظاهر المعاصرة لدى الفئات شبه المثقفة . اذ نبحث هذه الفئات عما يجعلها طمس انتماءها في عين ذاتها وفي الايام الاخرين ، الى ارومة المجتمع المتخلف ، فتندفع الى تداول الالفاظ اليسارية ومظاهرها الخارجية في معاوماتها وسلوكها اليومي ، وهي مخدرة بقوى التبعية للنمطية واساليب تعميمها . فان ظاهرة انتشار اليسار ، ليست هي التعبير عن الصحة ، ولكنها البرهان على تحول اليسار الى بضاعة استهلاكية للتعميم وتعزيز النمطية الركودية الاصلية ، سواء ركودية التخلف في العالم الثالث ، او نمطية آلية في المجتمع المتقدم التكنولوجي .

هذا ما نبه صفا جديدا من المفكرين المعاصرين الى اعادة النظر في مختلف اسس الايديولوجيات الثورية على ضوء حقائق العلوم الانسانية المتقدمة ، فان تفجر حركات التمرد الظاهرية والفوضوية والانحلالية فيما يسمى اليوم باليهيين واليساريين ( اي مدعى اليسار ) ومختلف حركات التمرد الاخلاقية والجنسية وسواها التي تعم القرب ، وتتغفل تحت صور اخرى من احتراف اليسارية فسي مجتمعات العالم الثالث ، كل ذلك ينبغي تمييزه حقا عن التحرك الثوري الحقيقي الذي يكاد تضيع معاملة تحت صور الانحراف . اذ تسرع آليات المجتمع انصناعي الى تجريد اليسار من قدرته على التعامل مع الظروف والمؤسسات والاشياء وتفجيرها من داخلها وتحوله الى صيرورة البضاعة الاستهلاكية ذاتها . وبذلك تستهلك الفاظ اليسار وطوقسه وتعميماته ومفرياته اللفظية ، تستهلك حقيقته التاريخية وقدرته على الالتحام العضوي مع حركة التجاوز الانساني لمنطيات التعميم الآلي وايديولوجياتها اللفظية .

ومصيبة العالم الثالث ، والعرب من اوضح نماذجه ، انه يستقيق على نفسه وعلى العصر في غمرة سيادة النمطية واستقلالها لمختلف ادوات الاستهواء الجماهيري ، وعلى رأسها الايديولوجيات الثورية . ولا تخدم النمطية في النهاية الا القوى التي يهملها التحكم فسي سلوك الجماهير ، وتنظيم عقلها وردود فعلها بحسب مصالح الاستغلال الاقتصادي والاقطاع السياسي ، محليا وعالميا .

فرزا لقوى الثورة على اساس وحدوي فتعارضها بالنمطية التجزئية .  
وتقدم لنا علاقة موضوعية لصراع التقدم والتخلف ، فنجهضها في  
فرز طبقتي شكلي .

وتقدم لنا نكساتنا وهزائمنا القومية والمسكوبة والثورية، قوى  
جديدة لتدمير اطر الهزائم السابقة ، ونوليد بيني مؤسسات الواقع  
الثوري الحقيقي ، كالعامل الفدائي ، والحرب الشعبية المستمرة، فتحول  
النمطية موت الفدائي الى بضاعة المشائر ، للتجزيات السابقة  
من فوق موجة المقاومة المسلحة . وتحول النمطية اللفظية شعارات  
الحرب الشعبية الى جدليات الزيادة بين قوى الاقطاع الثوري  
القائمة .

وتعود الاشياء الى الفباب كليا ، ولكن تتجاوز اسمائها كلها  
في صف واحد ، وتنعقد الفاظها في سلك واحد لان اسم النار يمكن  
ان يجاور اسم الماء، والنار كشيء، والماء كشيء لا يتجاوزان .

تساوي الفاظ اذن كلها في نمطية الاستهلاك عن طريق  
التكرار والمادة واللاحاح على ايقاع اللفة ، فلا يبقى من اللفة الا  
قاموسها ، واما مواقف الجماعة والانسان وهي تحكي وتتجاوز وتعتبر  
وتستوضح ، وتسال وتجب ، وتعلن وتحدد ويعرف ، ويفضل وتسفه ،  
تقبل وترفض ، فكلها فاعلية اصوات واشارات في الفراغ .

ولا يقتصر هذا على فعالية السياسة والثورة ، ولكنه الفن والادب  
والاخلاق والسلوك اليومي . فهي كلها نشكو انها في فراغ ، وانها  
قوالب واسماء ، لا محتويات ولا مسميات لها . فالقول مثلا ان الثورة  
الثقافية تبدأ برفض المتقدات القبية في المجتمع العربي يعني في  
الواقع ، ان نجعل بنية فوقية ضد بنية اخرى ، اي ان وجود  
مؤسسات التخلف ليست نتيجة للايديولوجيات القبية ، في حين  
ان مؤسسة الدين ذاتها في المجتمع التخلف هي انعكاس للاشياء  
والمؤسسات الاكثر مادية واعمق جذرية في بنية المجتمع الركونية .

فالمسألة ليست اذن في استبدال عقيدة بمقيدة اخرى ، اي  
منظومة الفاظ بمنظومة الفاظ مساوية لها من حيث انها الفاظ  
مجمية مستقلة عن الموافف وجغرافية الاشياء على ارضية الواقع .  
ولكن المسألة هي في اعادة الارتباط بين قوى التقدم وظروف  
التقدم ، واكتشاف هذه القوى والظروف في لحظة ديكالتيواحدة .  
اي البدء بالاشياء لتستطيع ايجاد مدلولاتها ، وبالتالي اسمائها  
الحقيقية .

ان رفض المقائد المتحجرة والانظمة السياسية التخلفة او الثورية  
الزيفة ، والمناداة بالنموذج السوفيتي او الصيني، او الكوبي، لا  
يعني ان المجتمع في ثورة ، وان الطبيعة الجديدة قد تكونت وان  
مؤسسات التغيير قد انطلق بناؤها .

بل ان مثل هذه الظاهرة تعني ان الطبيعة لم تبدأ بعد باكتشاف  
ملاحم المدخل الى اية ثورية حقيقية ، وهي الثورة الثقافية، اي  
الثورة على الوجود اللفظي في سبيل الوجود العيني ، ان صح  
التعبير .

ان المجتمع التخلف يعيش مادية الفاظ وليس مادية الاشياء  
والافكار . وهو يتحرك في فراغ عن العلاقة بالطبيعة الخام ، وبالطبيعة  
المصنوعة ، ولذلك فانه سجين ذاتية فقيرة مقطوعة عن العالم يفتيها  
بنمطية الفاظ ، التي اصيحت اشياء الفكر والعمل معا .

ومولد الثورة في المجتمع التخلف يكافئ مولد العالم بتحدياته  
المختلفة ، واجتياحه لاسوار الذاتية السحرية التي حفظت للمجتمع  
مجرد وجوده المادي الخام ، في غياب الجدلية التاريخية .

غير ان الثورة التي تفجر حضور العالم متحديا للمجتمع التخلف  
قد تعادل كذلك مولد العلم ومؤسسة الموضوعية العلمية لدى الغرب،  
اذ ان العلم الذي نمته البرجوازية الصاعدة في الغرب اقتسرن  
بثورتها الاقتصادية كذلك على البنية الاقطاعية . وفي المجتمع  
التخلف يستعمار العلم من خارج ما دامت اطر النمطية الركونية

وبالمقابل تعاني قيادات اليسار المنظم من عوامل الجمود والانهار  
وضياع القدرة على التحليل المستقل ، والقبض على مفاتيح الظروف  
من حولها . وترى نفسها في حصار ضمن تيارات الانحراف التي  
تفرق جذورها وتطمس معالمها الخاصة ، من ناحية ، وضمن آليات  
النمطية التي تفتديها انفعالية الجماهير ، واجهزة التحكم  
الجماهيري في مؤسسات التصنيع للافكار والانماط السلوكية مع  
بضائع الحياة المعصرية المزيفة من ناحية اخرى .

فكان الثورة عالما ، ومحليا ، محتاجة حقا الى ثورة ثقافية  
عامة ، تمد لها حرية تعاملها مع افكارها ، وقدرتها على تحليل  
الواقع المستجد حولها ، من خلال معطياته الخاصة ، وتتيح لها  
فرصة القبض على زمام التحرك المنتج على ارض المعركة ، معركة  
الاشياء ، وليس معركة الفاظ .

والمجتمع العربي المنحدر عن نمطية الركون الحضاري والبقاء  
خارج الديالكتيك التاريخي عصورا طويلة ، تواجه طلائمه الثورية  
الان ، من خلال ظروفه الخاصة ، وظروف الازمة الثورية العالمية  
محنة الارتباط بالثورة كمنط ، وليس كتغيير .

ولان الاشياء غائبة من ساحة الوعي في المجتمع الركوني ، فان  
الاستجابة للفاظ هي المحرك اليومي بدلا من المحرك الديالكتي .  
وهذا يؤدي بدوره الى تاخير فرز موضوعي لقوى الثورة ، واذ ما  
فرزت هذه القوى في مرحلة ، لم نستطع ان تستقطب ذاتها بحسب  
ظروف الجدلية التاريخية ، لقيام طبقة من الفاظ بينها وبين  
حقيقة التحرك التاريخي .

فحول : من هي القوى الثورية في المجتمع العربي ، هل هي قوى  
قومية او طبقية ، او انها قومية طبقية معا ، ما زال الجدل  
دائرا ، والضياح بين تلك الهويات اجتماعية الثلاث مستمرا من  
معركة الى معركة .

وحول طريقة الارتباط بظروف الديالكتي التاريخي ، ما زالت  
القيادات السياسية والفكرية تخلط ما بين حضور النمطية  
المنجسدة في جغرافية التراث والواقع اليومي للمعيشة الركونية  
وبين ظروف التناقض الاجتماعي والسياسي ، والتي يصعب اكتشافها  
وتحديدها ، وبناء استراتيجية موضوعية على اساسها . ولذلك سادت  
ممارسة الاستبدال في حقل هذه الثورة ، كما بينا في مطلع  
البحث .

والاستبدال موقف يعبر عن تجاهل عالم الاشياء ، والاستغراق  
في عالم الفاظ ، اي عالم الاشكال النمطية الفارغة من المضمون، سواء  
كان هذا المضمون فكرة او شيئا ، مشروع تغيير ، او تغييرا حاصل  
ويطلب وعيا يكافئ حجمه ، وتعديلا سلوكيا يحقق تطبيقه فسي  
مختلف مستويات العمل الانساني والمادي .

هكذا مثلا فان بناء حزب ثوري هو أداة لمشروع تغيير اجتماعي  
وسياسي شاملين ، ولكن النمطية لا تلبث حتى تمسك اليه نموذجها  
الخاص من الارومة الركونية ، فاذا بالحزب لفظ جديد لمحتوى نمطي  
قديم كالمشيرة والطائفة والضيعة ، واية فسة مقلدة من فئات  
المجتمع التخلف ذي البنية الانفصالية المنقطعة الاوصال .

هكذا مثلا فان اقامة نظام سياسي ثوري مهسد دائما بان  
يستهلكه المحتوى الموجود فعلا ، لمختلف الانماط التصاميمية في المجتمع  
الركوني ، وهي انماط الاستغلال الفوقي ، فاذا بهذا النظام الثوري،  
يفليه محتوى الاقطاع السياسي التقليدي فيصير الى شعار لفظي  
فوق حقيقة قديمة . هكذا مثلا ، فان الانتماء لايدولوجية ثورية ، قد  
يعبر انتماء لالفاظ سحرية تخفي ارتباطا بدين قديم . فبدلا من  
ان تصبح الايديولوجية أداة لرؤية علمية ، وتحليل موضوعي ، ومادة  
لتنظيم حركة التغيير الاجتماعية الشاملة ، فانها تنقلب الى لعبة  
الفاظ تتطلب تفديسا ومعادة اذ اصيحت غاية في ذاتها في طقسية  
السلوك النمطي . وهكذا مثلا تقدم لنا ظروف الديالكتيك التاريخي

وبعد ان كادت ثورات العالم الثالث بتبطلها الاطر الهجومية المستجدة، من قبل مراكز الامبريالية العالمية ، فان اللحظة التاريخية المنتظرة لدخول قوى المجتمعات الى حلبة الصراع الديالكتيكي قد اذنت بتحويل اسلوب الثورة ذاته ، من صراع فوقي جزئي مرتبط بغايات استبدالية لرموز الاوضاع ، الى اسلوب الثورة البروليتارية القومية .

بقي ان استيعاب هذا التحول التاريخي الهام ، بالرغم من توفر ظروفه الموضوعية في حالة الصدام الكياني الراهس بين العرب واسرائيل ، ما زال يعاني من رواسب النمطية الفوقية بفيض من الالفاظ والاهام ، لمنسج ظهور مؤسسة الثورة المادية باداة العنف الجماهيري المباشر . وبالرغم من توفر ظروف العمل العنفي عن طريق طلائع المقاومة الشعبية المسلحة الجسدة في العمل الفدائي ، فان ادوات الالفاظ تحاول ان تحتفظ بمرورها في اجهاض ادوات العمل الحقيقية .

ان انماء الوحدة العضوية للعمل الثوري لفكر تقدمي موضوعي وتحرك جماهيري منظم ، وبناء تحديتي شامل لمؤسسات المجتمع المنظور ومواجهة استراتيجية تصوية لحرب الوجود او عدم الوجود مع اسرائيل ، هو المنظور التاريخي الذي يجب ان تتحرك بموجبه عملية اعادة النظر لصيغ العمل الثوري، كمؤسسات موضوعية تواجه الاشياء بمواقف فادرة على تغييرها ، وليس باجتراء سمياتها اللفظية .

وكل ما تستطيع فعله الثورة الثقافية العربية هو التبشير بوجود عالم الاشياء ، والبحث عن اساليب تغييرها ، بدلا من الدوران في عالم الذات اللفظية من ضمن افنية البنى الفوقية لظلال بنى فوقية اخرى ، تأتينا من عالم الاستغلال الاستهلاكي .

ان انبثاق الوجود الجماهيري وادخال تحركه في سياق الصراع الجدلي التاريخي هو في حد ذاته اول نتائج الرد الثوري على تحديات الوجود او عدم الوجود الذي تعانیه البنى الفوقية المستعارة لتنهار وتبرز تحتها بنى الاشياء ومؤسساتها الاجتماعية والمادية وجها لوجه امام تلك التحديات .

ذلك وحده طريق تحطيم النمطية الركودية في ذات المجتمع العربي، وطريق مقاومة النمطية التكنولوجية الواردة مع تحديات البقاء او عدم البقاء في حلبة صراع مع ذروة هذه التحديات متمثلة في الصراع الحضاري ، وصراع المواجهة المادية مع اسرائيل .  
فما لم يوجد بعد انما هو ثورة الاشياء تحت ثورة الالفاظ !

مطاع صفدي

عاشق من فلسطين

لشاعر المقاومة  
في الارض المحتلة

محمود درويش

منشورات دار الآداب

٢٥٠ ق . ل

تتحكم فيه . فيأنيه بشكل الفاظ ومصنوعات ، ويمتنع عليه كمقل متطقي ومقدرة على تغيير المادة . ولذلك فان الثورة العلمية مقرونة بالثورة الثقافية ، اي ان رفض الوجود السحري اللفظي يعني اعادة العلاقة موضوعية بين العقل والعالم ، بدون توسط زوايا الرؤية النمطية .

وفي اللحظة التاريخية الحاضرة من تولد طليعة جديدة ، فان اكتشاف الثورة العربية لتحديات العالم من حولها ، لا يمكن ان يحدث لا من خلال اطر الابدولوجيات اللفظية ، ولا من خلال قنوات التكون الفئوي السياسي المعهود . انها اللحظة التي تعلن البدء من الاشياء .

وكما قال ماركس عن الانسان انه اكبر راسمال ، فانه يمكن القول ان جذر الاشياء كلها يكمن في علاقة الانسان بمؤسسات الواقع . والذي يهمننا هنا هو الواقع اجتماعي . فالعودة الى اصل الاشياء تعني اكتشاف القوانين الموضوعية لا من خلال الفاظها وشعاراتها ، ولكن من خلال منعكساتها المادية ، التي تعبر عنها مؤسسات الاقتصاد والفكر والاعتقاد والاخلاق والسياسة الخ ..

وهكذا فان تفسير مؤسسة بسواها من المؤسسات ، يعني استبدال منظومة من الالفاظ بمنظومة سواها ، فكيف اذا كانت فعالية الاستبدال مقتصرة فحسب على تغيير الوان مؤسسة واحدة او رموزها الخارجية، وهي المؤسسة السياسية ، فمعنى ذلك ان الطليعة الثورية قد تجاهلت عالم المجتمع بكامله واستعاضت عنه بالظاهرة السياسية وحدها ، التي تنحل في النهاية الى الظاهرة السلطوية . وفسرت الظاهرة السلطوية بنفسها ، اي باستبدال سلطة باخرى .

ومن الواضح ان كل ثورة سياسية تجنح الى تسييس بقيسة ظواهر المجتمع ، لتصبح معقولة عند ذاتها ، وعند الاخرين ، وعند ذلك تلجأ الى الاستبدال بدلا من التغيير ، فلا تقع الا على رموز الاوضاع . في حين تظل علاقات القوى الاجتماعية الاساسية كما هي ، اي بمنأى عن التغيير . ولكي ينقذ الانسجام الظاهري ، تفرغ هذه العلاقات من محتواها الموضوعي، وتجرد الفاظها ، وتوضع مجاورة للعناوين السياسية المتداولة . وفي النتيجة نزل حياة الواقع الاجتماعي عن حياة الجدلية التاريخية ، ونظل الاولى سادرة في النمطية ، وتظل الثانية تحديات في الفراغ ، لا جواب عليها .

والواقع ان ازمة العالم الثالث تكمن في ان بنيانه الفوقية ليست انعكاسا موضوعيا لبنيانه التحتية ، بقدر ما هي انعكاس لبعض البنيات الفوقية الواردة عليه من خلال نمطيات العصر التكنولوجي منقولة اليه ومشوهة من خلال علاقات التقدم والتخلف . ذلك ان البنيات التحتية في المجتمع المتخلف ، تكاد تعجز عن عكس منظومات ايدولوجية فوقية ، مفترقة عن اصولها التحتية ، فيمكن اعتبار النشاطات ايدولوجية ، من دين وسياسة وفكر واخلاق وفن ، متداخلة كلها في نمطية الممارسة التحتية للكتلة الرائدة ، وذلك لانعدام او لضعف ارتباط الجدلية الاجتماعية الطبقيية بالجدلية التاريخية المادية . فالغالبية العظمى من المجتمع المتخلف ليست محلا انساني موضوعيا لبروليتاريا اقتصادية ، بقدر ما هي بروليتاريا خارج الديالكتيك التاريخي المادي ذاته . وتبقى البنى الفوقية محلا لانعكاس ما يرد اليها من نشاطات النمطية الفوقية فسي الحضارة التكنولوجية ، منقولة اليها عبر علاقات الاستغلال الاستهلاكي العالمي .

ولكن منذ ان انفجرت الثورات الوطنية في اكثر مجتمعات العالم الثالث ، مارست البنى الفوقية المنعكسة عن تفاعل التطلعات الحضارية لدى الفئات المتطورة مع البنى الفوقية للمجتمعات الراسمالية، مارست عمليات الاستبدال لرموز الاوضاع ببعضها بعضا . وبذلك ساهمت في حيز فعالية المجتمع ضمن افنية النمطية الركودية .